

سورة الفاتحة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (5)

شرح الكلمات:

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي نَخْصُصُكَ بِالْعِبَادَةِ مِنْ تَوْحِيدٍ وَغَيْرِهِ وَنَطْلُبُ الْمَعُونَةَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا

المعنى الإجمالي :

{قوله} {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي: نخُصُّكَ وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

و {العبادة} اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. و {الاستعانة} هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودا بما وجه الله. فهذهين الأمرين تكون عبادة، وذكر {الاستعانة} بعد {العبادة} مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريد من فعل الأوامر، واجتناب النواهي. وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف إلا لله وحده،

وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله، ومن أمراض الرياء والعجب، والكبرياء.

علّمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال: احمدا الله واثنوا عليه ومجده، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره.

الله سبحانه وتعالى خلقنا في الحياة لعبده. . مصداقا لقوله تبارك وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] إذن فعلة الخلق هي العبادة. ولكن العلة تعود على الخلق بالفائدة. . فالله سبحانه وتعالى خلقنا لعبده. ولكن علة الخلق ليس لأن هذه العبادة ستزيد شيئا في ملكه. . وإنما عبادتنا تعود علينا نحن بالخير في الدنيا والآخرة. . والله تبارك وتعالى قرن العبادة له وحده بالاستعانة به سبحانه. . فقال جل جلاله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك. والاستعانة بالله سبحانه وتعالى تخرجك عن ذل الدنيا فأنت حين تستعين بغير الله فإنك تستعين بشر مهما بلغ نفوذه وقوته فكلها في حدود بشريته. ويريد الله تبارك وتعالى أن يحرر المؤمن من ذل الدنيا. . فيطلب منه أن يستعين بالحي الذي لا يموت. . وبالقوي الذي لا يضعف، وبالقاهر الذي لا يخرج عن أمره أحد. . وإذا استعنت بالله سبحانه وتعالى كان الله جل جلاله بجانبك. وهو وحده الذي يستطيع أن يحول ضعفك الي قوة وَذَلِكَ إِلَيَّ عَزْ.

لا تُقبل العبادة إلا بشرطين:-

الشرط الأول أن لا يعبد إلا الله، وهو الإخلاص الذي أمر الله به، ومعناه أن يقصد العبد بعبادته وجه الله سبحانه (خالصاً لله)
الشرط الثاني : ان تكون على هدي النبي عليه الصلاة والسلام
قال: "من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد"

أهمية التوحيد وثمراته:

1- التوحيد من أجله خلق الله الخلق.

2- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها

3- التوحيد من أجله أخذ الله الميثاق على بني آدم

4- التوحيد من أجله أرسل الله الرسل.

5- التوحيد من أجله أنزل الله الكتب.

6- التوحيد هو أوّل ما ندعو الناس إليه.

7- التوحيد من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر

8- التوحيد من أجله شرع الله الجهاد.

9- التوحيد شرط في النصر والتمكين.

10- التوحيد شرط في الأمن والاهتداء.

11- التوحيد شرط في قبول الأعمال.

12- التوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره

13- التوحيد شرط في دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار.

الاستعانة تنقسم إلى قسمين: قسم محمود، وقسم مذموم.

فالقسم المذموم هو الاستعانة بالخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله: كإجابة الدعاء وكشف البلاء، والهداية، والإغناء، ونحو ذلك، فالله تعالى هو المتفرد بذلك.

القسم الثاني الحمود: فهو الاستعانة بالله تعالى وحده، والتبرؤ من الحول والقوة، وتفويض الأمر إلى الله عز و جل.

هل الاستعانة بال مخلوق جائزة في جميع الأحوال؟

فالجواب: لا؛ الاستعانة بالمخلوق إنما تجوز حيث كان المستعان به قادراً عليها؛ وأما إذا لم يكن قادراً فإنه لا يجوز أن تستعين به.

كما لو استعان بصاحب قبر؛ فهذا حرام، بل شرك أكبر؛ لأن صاحب القبر لا يُغني عن نفسه شيئاً؛ فكيف يُعِينُهُ؟! كما لو استعان بغائب في أمر لا يَقْدِرُ عليه، مِثْلُ أن يُعْتَقَدَ أَنَّ الْمَوْلَى الذي في شَرْقِ الدُّنْيَا يُعِينُهُ عَلَى مهمته في بلده: فهذا أيضاً شرك أكبر؛ لأنه لا يَقْدِرُ أن يُعِينَهُ وهو هناك.

هل يجوز أن يستعين المخلوق فيما تجوز استعانتُه به؟

فالجواب: الأولى أن لا يستعين بأحدٍ إلا: عند الحاجة. أو إذا عَلِمَ أَنَّ صاحِبَهُ يُسَرُّ بذلك، فيستعين به من أجل إدخال السُّرور عليه.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (488)



هذا هو الحق



قوله من تفسير سورة الفاتحة الآية 5

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

10- قَرَنَ العبادة بالاستعانة ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوقيفه، فهو إذن شعار وإعلان أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله، وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات.

11- قدم العبادة على الاستعانة لكون العبادة هي علة خلق الإنسان والجن: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} 4، فالعبادة هي حق الله، والاستعانة هي مطلب من مطالبه، وحق الله أولى من مطالبه.

12- ما هي العبادة ؟

هي كمال الحب مع كمال الذل، لا تتحقق العبودية إلا بالاثنتين معاً 13- العبادة تعني : غاية الذل والخضوع لله تعالى مع الحبة والتفاني والإخلاص للمعبود سبحانه.

14- المسلمون في جميع أحوالهم لابد أن تتعلق قلوبهم بربهم، وأن يتوكلوا عليه حق التوكل، وأن يستعينوا به في قضاء حوائجهم.

15- الاستعانة بقبور الأولياء أو النذر لهم أو اتخاذهم وسطاء عند الله بطلب ذلك منهم شرك أكبر مخرج من الملة الإسلامية موجب للخلود في النار لمن مات عليه. أما الطواف بالقبور وتظليلها فبدعة يحرم فعلها ووسيلة عظمى لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركاً إذا قصد أن الميث بذلك يجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضراً أو قصد بالطواف التقرب إلى الميث.

16- ذكر الله عز وجل في كتابه المحكم عديداً من الأنبياء وعباده الصالحين وهم احتاجوا إلى الاستغاثة والاستعانة والدعاء في مسائلهم ومشاكلهم والملمات التي امت بهم، فلم يستغيثوا ولم ينادوا إلا برحم وحده.

17- من ترك الاستعانة بالله ، واستعان بغيره ، وكَلَهُ الله إلى من استعان به فصار مخذولاً .

والله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده. وزادت السنة الصلاة على النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له.

2- أن لا يعبد غير ربه. وأن لا يستعينه إلا هو سبحانه وتعالى.

3- نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، فلا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك؛ إذ لا تصح العبادة إلا لله، ولا يجوز الاستعانة إلا به.

4- قرنت العبادة بالاستعانة ليدل على أن العبد لا يستطيع أن يقوم بأي عبادة إلا بإعانة الله وتوقيفه، فهو إقرار بالعجز عن حمل هذه العبادة.

5- العبادة حق لله هذا الخالق العظيم له علينا حق واجب هو عبادته والتسليم له والانقياد لأمره، وهو حق استحقه بمقتضى ربوبيته وألوهيته وكمالها، ولو لم تأت الرسل من عنده أمرة بعبادته لاستحق أن يُعبد ويُعظم لذاته لا لشيء زائد.

6- العبادة تنبيه دائم للإنسان إلى أنه روح قبل أن يكون مادة، وكما أن للجسد مطالب فكذلك الروح لها مطالب وغذاء، وغذاؤها عبادة خالقها.

7- العبادة تذكير للإنسان الفاني بالله ربه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، ولو خلا الإنسان من العبادة لنسي ربه وخالقه ورازقه.

8- قال ابن القيم - رحمه الله - : "وسر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب؛ انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد.

9- القيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة إذا كانت مأخوذة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقصوداً بها وجه الله.